المصادر الأركيولوجية لنصوص الكتاب المقدس
"النصوص التوراتية أنموذجا"

عبد الحق مجيطنة.

قسم اللغة والأدب العربي،

كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر . باتنة

ملخص:

الكتاب المقدس أكثر النصوص المقدسة إثارة للجدل، وهو الحامل المادي لجزء هام وعريق من التراث الديني والثقافي للإنسانية جمعاء، إنه النص المتوارث بين الأجيال المتعاقبة منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة. إنه سجل تاريخي للثقافة والحضارة الإنسانية منذ فجر التاريخ، يحمل بين طياته رصيدا دينيا وأركيولوجيا وأدبيا.. يكشف لنا الكثير من خفايا الحياة الثقافية والاجتماعية للإنسان في عصور غابرة، ويكشف النقاب عن مرحلة مهمة في تاريخ الحياة الروحية للإنسان؛ هي مرحلة الديانات السماوية. إنه حلقة الوصل بين مرحلتين متمايزتين ومتداخلتين من مراحل الحياة الروحية للإنسان: مرحلة الديانات الوثنية ومرحلة الديانات السماوية. إنه ببساطة الكتاب الأكثر قداسة والأكثر هيمنة على معتنقيه ومعتقديه منذ فجر التاريخ، كان ولازال موضوع نقاش مستمر، تثير نصوصه مشاكل معرفية لا حصر لها.

الكلمات المفتاحية: النص المقدس؛ الكتاب المقدس؛ العهد القديم؛ التوراة؛ أركيولوجيا التوراة

Résumé:

La Bible est le texte sacré le plus controversé, c'est le support matériel d'une partie importante et ancienne du patrimoine religieux et culturel de toute l'humanité. C'est le texte qui a été transmis par les générations successives pendant plus de trois mille ans. Il est disque historique de la culture et de la civilisation humaine depuis l'aube de l'histoire, il porte un équilibre entre les religieux et archéologiquement et littéraire .. révèle beaucoup de Khvaya la vie culturelle et sociale de l'être humain dans une époque passée, et révèle une étape importante dans l'histoire de la vie spirituelle de l'être humain, est la scène des religions célestes. C'est le lien entre deux étapes distinctes et interdépendantes de la vie spirituelle de l'homme: le stade des religions païennes et le stade des religions célestes. C'est tout simplement le livre le plus sacré et le plus dominant de ses adeptes et détracteurs depuis l'aube de l'histoire. Il a été et continue d'être le sujet de débats en cours dont les textes soulèvent d'innombrables problèmes cognitifs.

مقدمة:

تحت تأثير عوامل متعددة أهمها السلطة الكاريزمية الدينية القدسية التي يتمتع بها الكتاب المقدس، وكذلك تاريخه الطويل المتشعب الروافد والمتعدد المصادر، نجد أنفسنا أمام محاولات يائسة لفهم نصوصه وتشريحها وتفسيرها، إنه نص ثيولوجي مقدس، معقد البناء ومتعدد المصادر والروافد، يطرح نفسه بصعوبة أمام المساءلة العلمية والكشف النقدي الصارم. وأي محاولة علمية تهدف لسبر أغوار الكتاب المقدس، قد تصطدم بعوائق نصانية تجعل البحث فيه أمرا ذا صعوبة بالغة. فالعهد القديم هو كذلك مدونة كلامية، لكنه ليس مجرد كلام عادي، إنه: نص لغوي، ونص مقدس. فالنص المقدس شأنه شأن النص القرآني، هو نتيجة تلك العملية المعقدة التي تسمى: الوحي؛ أي أنه الشكل المادي الملموس الناتج عن تلك العملية الميتافيزيقة المنتجة لنصوص الكتاب المقدس.

ويبدو جليًّا أن ما يثيره النص المقدس من إشكاليات نصانية مردّها بالدرجة الأولى إلى تاريخه المليء بالتعقيدات النصية، التي طالما ميزت بناءه على مر التاريخ، لتتبلور عنها النصوص المقدسة التي نراها اليوم. فمن خلال رصد تاريخ الكتاب المقدس يبدو لنا أن سلسلة الظروف التي ساهمت في بنائه على قدر كبير من التعقيد والتداخل، بشكل يجعل محاولة رصدها فحسب، أمرا غاية في الصعوبة إن لم نقل مستحيلا. والشكل الذي استقر عليه الكتاب المقدس هو نتيجة نهائية لعدد لانهائي من العمليات المختلفة التي صاغته أو ساهمت على الأقل في صياغته، وليس من السهل رصد ودراسة هذه العمليات المتعاقبة التي صاغت البنية النصية للكتاب المقدس، مع التأكيد أن فهمها قد يساهم في تفسير بعض الظواهر النصية في الكتاب المقدس، ويجيب عن الأسئلة التي يطرحها النص المقدس.

ومن المشروع إذاً أن تستدعي دراسة السرد في الكتاب المقدس، النظرَ في نصوصه من حيث: تاريخها وظروف تكوينها وظهورها وتطورها... ومختلف العوامل النصية واللانصية المساهمة في بنائه، والأكيد لدينا أن دراسة السرد في النص المقدس لا تتمّ إلا بالرجوع إلى السياقات النصانية وغير النصانية التي صاغت الكتاب المقدس منذ اللحظات الأولى لظهوره. وعليه نفترض مبدئيا أنه لا يمكن تحديد البنية السردية في النص المقدس أو فهمها وتفسيرها أو الإحاطة بشيء منها ما لم يتم فهم تلك الظروف التي صاغت نصوص العهد القديم على النحو الذي هي عليه اليوم. ولو أن عملية البحث وفق هذا الطرح تجعل الدراسة تتحرى وتستقصي السياقات اللانصية المحيطة بالنص المقدس، مع التأكيد أنه بإمكاننا ـ من وجهة النظر البنيوية الصرفة ـ تحديد البنية السردية دونما العودة إلى هذه السياقات المساهمة في تكوينه، لكننا في آخر المطاف نبقى في أمس الحاجة لفهم هذه السياقات المصاحبة لعملية ولادة ونشأة وتطور نصوص الكتاب المقدس حتى استقرارها على شكلها الحالي.

وبالتالي علينا قبل الولوج إلى تحليل النص السردي المقدس؛ قصة النبي موسى (ع)، علينا أن نتحرى البنية النصية للعهد القديم أولا. فالنص السردي في العهد القديم، يحمل في طياته خصائص نصوص التوراة عموما، ولا يمكن عزل دراسته عن دراسة النص المقدس. وعليه فإنه من الواجب علينا في هذا البحث التطرق إلى خصائص البنية النصية للعهد القديم، من أجل تفسير البنية السردية لقصة موسى (ع)، في سفر الخروج وباقي الأسفار التي جاء فيها ذكرها؛ وعليه فإن البحث في بنية النص السردي لقصة موسى (ع) في العهد القديم لابد أن تنطلق من البحث في بنيته النصية. من أجل ذلك علينا أن نبدأ من نقطة جوهرية في الدراسة السردية للنص المقدس، تتعلق بالنصوص ذاتها من حيث: ظهورها أول

مرة، تطورها التاريخي، واستقرارها النهائي. علينا إذاً أن نستوعب جيدا جوهر نصوص الكتاب المقدس، بدءاً بتحديد مفهومه، الذي ينطوي بحد ذاته على مشاكل معرفية تستحق النظر والمناقشة.

الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد، وبجميع أسفاره، هو في بعض الاعتقاد اليهودي وفي كل الاعتقاد النصراني: كتاب الله تعالى وكلماته التي أنزلها على سيدنا موسى عليه السلام، وعلى الأنبياء عليهم السلام من بعده، حتى ظهور المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام. إنه الوحي الذي جاء به سلسلة من الرسل والأنبياء المتعاقبين على مدى ما يقارب الخمسة عشر قرنا من النشاط الديني والروحي، والتي تُوّجت في الأخير بمجموعة نصوص مقدسة، جُمعت في كتاب واحد جامع لها هو ما يُعرف لدينا اليوم بـ: الكتاب المقدس. "هذه المجموعة من النصوص تتناول أصول العالم حتى دخول الشعب اليهودي إلى أرض كنعان، أرض الميعاد بعد المنفى في مصر. أي بدقة حتى موت موسى (عليه السلام). ولقد كانت رواية هذه الوقائع إطارا عاما لعرض الأوضاع التي تخفي الحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودي التي انبثق عنها اسم الشريعة أو التوراة."[1] إذن هو الكتاب الديني المقدس الحامل لشريعة اليهود والنصارى: على اختلاف مللهم ونحلهم.

الكتاب المقدس قسمان: العهد القديم المتضمن ثلاثة أجزاء هي: التوراة، الأنبياء، المزامير، وهو كل النصوص المقدسة التي ظهرت قبل ميلاد المسيح عيسى (ع). أما العهد الجديد والمتضمن: الأناجيل اليسوعية ورسائل التلاميذ والقديسين، فهو مجمل النصوص المقدسة التي كان ظهورها بعد ميلاد المسيح بن مريم (ع). و"يمكن أن نلخص مفهوم الكتاب المقدس في كلمتين هما: عهد قديم، عهد جديد. فكلمة عهد بمعنى ميثاق أو وصية أي العهد الذي قطعه الله مع البرية ومع شعبه."[2] فالتسمية مشتقة من عهد الله وميثاقه الذي قطعه لشعب بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، فيما يعرف بالوصايا العشر وميثاق بني إسرائيل، وفكرة العهد أو الميثاق هي فكرة جوهرية في صياغة نصوص العقيدة اليهودية في العصور اللاحقة.

إذاً، يتكون الكتاب المقدس من كتابين اثنين هما: العهد القديم، والعهد الجديد. يختص الأول باليهود، ويؤمن النصارى بالاثنين معا، مع التأكيد أن "تسمية كتاب اليهود المقدس بالعهد القديم أو العهد العتيق تسمية مسيحية مقابل تسمية الأناجيل والرسائل باسم العهد الجديد."[3] وهذا التقسيم هو الأشهر والأكثر انتشارا بين معتنقي الكتاب المقدس، والذي عُرف به، وهو تقسيم جاءت به العقيدة النصرانية في عصور متأخرة عن العقيدة اليهودية. وعليه فإن "لفظ العهد القديم: يطلق على مجموعة الأسفار التي كتبت قبل عهد المسيح عليه السلام والتي تضم الأسفار التي جاء بها موسى وأنبياء بني إسرائيل وسميت كذلك ـ العهد القديم ـ للتمييز بينها وبين العهد الجديد، الذي يزعمون أن الرب قطعه مع بني إسرائيل على يد المسيح عيسى عليه السلام."[4] فكلاهما كتاب مقدس يجسد عهد الله وميثاقه لبني إسرائيل، على مدى زمني يزيد عن أربعة عشر قرنا، منذ الخروج الأعظم من مصر أيام النبي موسى (ع) وحتى ظهور المسيح عيسى (ع).

لكن قبل ظهور المسيحية كان الكتاب المقدس جزءاً واحدا هو ما يُعرف الآن بالعهد القديم، وبعد مجيء المسيح عيسى (ع)، تبنى وأتباعُه من بعده العهدَ القديم بالموازاة مع تبنيهم عهد الله الجديد معهم (الإنجيل). "إذْ دُمج العهد القديم إلى العهد الجديد ليصبحا الكتاب المقدس لدى المسيحيين."[5] وعليه أصبح العهدان: القديم والجديد كتاب النصرانيين ومصدر عقيدتهم وشريعتهم، ولم ينظروا إلى الكتابين على أنهما متناقضان أو مختلفان. فـ"العهد الجديد هو

مكمل للعهد القديم، وليس لنقضه أو إلغائه."[6] وتؤكد هذا التكامل نصوصٌ مشهورة من الإنجيل رسخت العهد القديم وزادت في مصداقية نصوصه؛ فقد جاء في العهد الجديد، من إنجيل متّى: "[17]«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. [18]فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. [19]فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. [20]فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ."[7]

أما العهد القديم فهو الجزء الأول من الكتاب المقدس، وهو الجزء المرتبط غالبا باليهودية دينا، معتقدا، وشريعة. وهو الجزء الأضخم والأهم من الكتاب المقدس، يحمل بين دفتيه تاريخ اليهود واليهودية على امتداد عشرة قرون أو ما يزيد، خلال حقبة تاريخية هي الأهم بالنسبة لشعب بني إسرائيل. فـ"العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المقدسة التي أعلن الله فيها ذاته للبشر وكان هذا الإعلان للشعب اليهودي أولا."[8] وهو صحف الله تبارك وتعالى التي أنزلها على عباده من بني إسرائيل، لتكون لهم ولخلفهم من بعدهم شِرعةً ومِنهاجاً. وهو على الأرجح يتكون من ثلاثة أجزاء: التوراة، الأنبياء، المزامير. يحمل بين دفتيه تسعة وثلاثين (39) جزءاً، يسمى كل جزء منها سِفْراً، وهي في مجملها موضوع جدل عظيم وقديم، شغل المجتهدين في نصوص الكتاب المقدس لعدة قرون، وهي كذلك جوهر الخلاف بين الملل والنحل اليهودية والنصرانية عبر التاريخ.

أما التوراة فهي أول وجوهر الأقسام الثلاثة من العهد القديم، وهي أكثرها إثارة للجدل الديني والعلمي على مرّ التاريخ. وهي الاسم العبراني الذي تُعرف به الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم في الكتاب المقدس، وينطوي الاسم في لغة العبرانيين على معنى: الإرشاد والهداية. وقد جاء القرآن الكريم بعد ذلك مصدقًا ومؤكدا على ذلك، فهي كتاب الله الذي أنزله على رسوله موسى (ع)، ويطلِق على التوراة اسمَ: الكتاب، الألواح، الصحف... الخ، وهي الأسماء الدالة على الكلمات التي أوحى إليه بها الله سبحانه وتعالى. وعلى العموم يُطلق اسم التوراة حقيقةً على أسفار موسى (ع) الخمسة، ويطلق مجازًا على بقية أسفار العهد القديم التسعة والثلاثين.

وصُحف التوراة كما هو متعارف عليه، "هي الاسم السامي، والعبارة اللاتينية التي أُطلقت [...] على الأسفار الخمسة، وتعني مؤلفا من خمسة أجزاء: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر الأحبار، وسفر العدد، وسفر التثنية، التي تشكل العناصر الخمسة الأولى من مجموعة التسعة والثلاثين كتابا من العهد القديم."[9] وهناك من يجعلها أربعة أسفار فقط فيحذفون سفر التثنية، وهناك من يجعلها ستة أسفار فيضيف إليها سفر يشوع، لكن الشائع أنها تشمل الخمسة أسفار الأولى من الكتاب المقدس. والتوراة على الأرجح هي التسمية التي أطلقها العبرانيون على تلك الصحف أو الألواح المنزلة على موسى (ع) بعد خروجه من مصر ببني إسرائيل، وهي كذلك على الأرجح النص الأصلي أو على الأقل بعض منه، والتي جاءت فيها الوصايا العشر التي عاد بها موسى (ع) من ميعاد ربه.

أما في نصوص الكتاب المقدس، فـ"يرد مصطلح التوراة في العهد القديم للدلالة على معاني عدة، فيرد المصطلح ليدل على الوصايا والأحكام التي أمر بها الرب جماعة بني إسرائيل، ويطلق على الوصايا والأحكام لتوراة يهوَه. كما يستخدم هذا المصطلح بمعنى الشريعة، وتعرف باسم شريعة الله [...] والمقصود بتلك الشريعة شريعة الرب، وتوصف

لذلك بأنها شريعة حق."[10] لقد جاء في سفر يشوع عندما أوصى الرب خليفة موسى (ع) يشوعَ بن نون بإتباع شريعته، قائلا: "[7]إِنَّمَا كُنْ مُتَشَدِّدًا، وَتَشَجَّعْ جِدًّا لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا مُوسَى عَبْدِي. لاَ تَمِلْ عَنْهَا يَمِينًا وَلاَ شِمَالاً لِكَيْ تُفْلِحَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ. [8]لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ، بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَارًا وَلَيْلاً، لِكَيْ تَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ. لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ."[11] وهذه المعاني جميعها معانٍ تصب في معنى الهداية والإرشاد والوحي الرباني المنزّل على عباده من بني إسرائيل، ليكون لهم شِرعة ومنهاجا، فهي الحامل النصاني لشريعة اليهود.

فالتوراة في العرف اليهودي "تسمى بأسفار الشريعة أو أسفار موسى الخمسة أو الناموس أو ناموس موسى، وتشمل خمسة أسفار هي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية."[12] وهي الأسفار الخمسة الأساسية في الكتاب المقدس، وهي مرجع كل الأسفار التي تأتي بعدها، وهي كذلك مرجع الأناجيل اليسوعية ورسائل التلاميذ والرسل في العهد الجديد (الإنجيل). "كما يطلق لفظ (الناموس) على أسفار العهد القديم وأحياناً يقتصر اللفظ على أسفار الشريعة الخمسة التي يقولون: أن موسى كتبها، وقد ورد في الإنجيل [...] وكلمة ناموس المقصود بها: القانون أو الشريعة وهي تقابل كلمة توراة العبرية."[13] فقد جاء في إنجيل يوحنا: "[34]أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ [35]إِنْ قَالَ آلِهَةً لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ."[14] وتتفق نسخ التوراة المختلفة حول هذه المعاني، فعلى الأقل ترد في النصوص الثلاثة المختلفة من التوراة: العبرانية، السامرية، والسبعينية. "كما عرفت أيضا باسم الناموس في الترجمة السبعينية والعهد الجديد، وهو مصطلح يوناني يعني السلوك الحسن أو الشريعة."[15] وكلها معانٍ تصب في المعنى العام للتوراة: الإرشاد والهداية.

بهذا تظهر أسفار موسى الخمسة كوحدة واحدة تسمى: الناموس، وإن كانت قد حملت أسماء أخرى مختلفة وردت في العهدين، منها: التوراة أو الشريعة، سفر الشريعة أو كتاب موسى، سفر توراة موسى، سفر شريعة الله، كتاب موسى، ناموس (شريعة) الرب، شريعة موسى... الخ. و"يُعرّف كتاب اليهود المقدّس بعدد من المسميات منها التوراة، وذلك من سبيل إطلاق الجزء على الكل، كما يعرف أيضا باسم سفر الأسفار، وأطلق اليهود هذه التسمية اعتقادا منهم بالأهمية والسمو الذي ينفرد بها عن بقية الكتب."[16] وتتجلى أهميتها في كونها نواة الكتاب المقدس ومحوره، الذي تدور في فلكه باقي أسفار العهد القديم، وكذلك أناجيل العهد الجديد. إذاً؛ فالعهد القديم في أشهر تعريفاته، ثلاثة أجزاء هي: "التوراة وهي كتب موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية). والأنبياء قسمان: الأوائل والأواخر [...] والكتب هي المزامير والأمثال ونشيد سليمان وراعوث... الخ."[17]

الأسماء التي أُطلقت على الأجزاء المختلفة من العهد القديم ذات دلالة تاريخية مرتبطة دوما بالظروف التي ساهمت في بلورة الصورة النهائية للكتاب المقدس، كما تحمل في طياتها معاني مرتبطة بسلسلة الاختيارات التي لجأ إليها الكهنة وكُتّاب الوحي أثناء تدوينهم النسخة المتفق عليها من العهد القديم. وقد ذاعت تسميات كثيرة للعهد القديم وللتوراة، "غير أن التسمية الأكثر شهرة هي التاناخ، وهذه التسمية مأخوذة من الحرف الأول من كل كلمة من أقسام كتاب اليهود المقدس، فالتاء تشير إلى التوراة، والنون تشير إلى الأنبياء والخاء تشير إلى المكتوبات، أي هذه التسمية اختصار لأقسام العهد القديم الثلاثة."[18] وهي في اللغة العبرية: الأسفار الخمسة (توراة)، الأنبياء (نفيئيم) والأناشيد المدوّنة (ختوفيم). والتي

من المحتمل أن يكون قد تم تأليفها خلال مئات السنين منذ الفترة التي سبقت دخول بني إسرائيل لأرض فلسطين (حوالي القرن 14 ق م)، حتى بعد عودتهم من بابل بعد السبي إلى مملكة اليهود (حوالي القرن 6 ق م)، وما بعدها حتى القرن الأول قبل المسيح.

إذاً؛ التاناخ هو مجموعة الشرائع اليهودية، التي تمت بلورتها بصورتها النهائية في الفترة الممتدة بين فترة السبي البابلي والقرن الأول الميلادي، ولم يشمل الحاخامات الذين شاركوا في تحديد الشكل النهائي للكتاب المقدس بعض النصوص التي تُعرف عندهم بالكتب الخارجية، أي الكتب أو الأسفار غير المدرجة في الكتاب المقدس، وتُسمى الأبوكريفا (apocrypha) إذ لم يعتبروها وحيا ذات مصدر إلهي، من أجل ذلك استبعدوها لحظة تدوينهم التاناخ. و"الأبوكريفا أي الأسفار غير الشرعية، وهي أربعة عشر سفرا، موجودة في اللاتينية، نقلا عن الترجمة السبعينية، وأشهرها سفر يهوديت، وطوبيا، ويشوع بن سيراح [...] وهي تحتوي على حكايات أخلاقية النزعة، محشوة بالأخطاء التاريخية."[19] ضاعت نصوص هذه الأسفار المستثناة من العهد القديم، وتم نسيانها أو تناسيها على مر العصور اللاحقة، للشكوك المحيطة بها حول مصدرها غير الإلهي حسب ترجيح الكهنة وكتبة الوحي.

إذا كان اليهود العبرانيون قد أولَوا عناية خاصة للعهد القديم بجميع أسفار، وحاولوا حفظ نصوصه الأصلية من التحريف والتعديل والزيادة كنتيجة حتمية لسلسلة من المتغيرات المحيطة بالنص المقدس؛ أو في أسوأ الحالات حفظه من الضياع، رغم نوائب الدهر التي حلت بهم منذ خروجهم من مصر حتى ظهور المسيح بن مريم (ع)، ورغم محاولاتهم الحثيثة للحفاظ على موروثهم الثقافي عامة وموروثهم الديني المقدس خاصة، فإن آثارهم الدينية والأدبية (الثقافية) قد ضاعت في أغلبها على الأرجح. فإذا كان حفظ النص الأقدس عندهم في ظل تلك الظروف المريرة قد جابه صعوبات جمة، فإن الجهد الأكبر قد وُجّه لحفظ الموروث الديني بدرجة أولى. "ولم تُحفظ على هذا النحو جميع آثار الأدب العبري القديم، فأسفار العهد القديم نفسها تشير إلى المصادر التي استمدّت منها مادتها، وهذا إلى أن المخطوطات العبرية التي كشفت أخيرا بالقرب من البحر الميت تضم، عدا بعض نصوص العهد القديم، كتابات أخرى ليست فيه."[20]

حتى وإن كان الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد نصا مكتملا قائما بذاته، قادرا على إخبارنا بالكثير من قصص القدامى من الأنبياء والرسل الأولين، ومهما كان نصا قديما حافظا لجزء يسير من الموروث الثقافي الإنساني العالمي، ومهما كان نصا مقدسا يحفظ العادات والتقاليد والطقوس الدينية لنصف سكان العالم في العصر الحديث... فإنه مؤكد لدينا أن بعض نصوصه قد ضاعت. فعلى الأرجح إن "العهد القديم بهذه الصورة التي وصل إلينا فيها، لا يشمل كل نتاج بني إسرائيل حيث ترد إشارات كثيرة إلى وجود أسفار أخرى لم تصل إلينا، أهمها: سفر حروب الرب، سفر المستقيم، وسفر أخبار الأيام لمولك يهوذا، وسفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل، وأخبار جاد المراثي وعدو النبي."[21] وكل هذه النصوص الضائعة هي في آخر المطاف جزء من النص الأصلي الذي تشكل في ظروف تاريخية وحضارية خاصة، ساهمت في تحويره وتعديله وتدوينه... على الشكل الذي استقرّ عليه اليوم، ونعتقد أنها ذات أهمية قصوى في فهم مختلف نصوص الكتاب المقدس.

وعليه نخلص إلى أن التاناخ هو مجموعة النصوص المقدسة المتفق حول مصدريتها الإلهية ونسبتها إلى موسى (ع)، وتستثني مجموعة من النصوص مشكوك في ألوهية مصادرها، وحتى النصوص المتفق حول ألوهية مصدرها تحوم حولها

الشكوك والترجيحات. ويبدو أن نصوص العهد القديم (التوراة خصوصا)، وبالرغم من استقرارها في شكل نهائي متفق حوله، نصوصٌ غير واضحة الملامح مثلما هو الشأن بالنسبة لنصوص القرآن الكريم التي وقع عليها الاتفاق في السنوات الأولى بعد ظهورها، ويبدو كذلك أنها تنطوي على بعض المشاكل النصانية التي تستدعي النظر فيها، مشاكل ذات صلة وثيقة ببناء النص المقدس عموما والنص السردي خصوصا؛ والتي تتجلى في امتزاج السرد القصصي بالسرد التاريخي.

وإذا كانت اليهود تنسب الأسفار الخمسة إلى النبي موسى (ع) فإنه ليس من السهل إثبات ذلك، خاصة "وإن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل."[22] ونعلم جميعا أن زمن نزول التوراة على النبي موسى (ع) بعيد بفترة ليست بالقصيرة عن زمن السبي البابلي، وعليه فهناك بُعد زمني ليس بالهيّن بين زمن النزول وزمن الكتابة.[23] وهذا ما قد يعرّض النص المقدس الأصلي لسلسلة تعديلات نصية، لا يمكن التغاضي عنها. "ودونما ريب، فإن الأسفار الخمسة، هي في مجال النقد للنص، المثال الأكثر وضوحا للتعديلات التي أجراها الناس في مختلف عهود تاريخ الشعب اليهودي، وللروايات الشفوية وللنصوص المأخوذة عن الأجيال الماضية."[24] وهي موضع جدل قائم على مر التاريخ بين المشتغلين على نصوص التوراة بالبحث والتفسير، لطالما طرحت نفسها بقوة للمناقشة والتحليل العلمي والنقدي.

التوراة في عرف اليهود والنصارى، هي صحف موسى (ع)، وهي النصوص الأولى التي يُعتقد أنه قد نزلت مكتملة البناء، مدونة في الألواح المقدسة هي ما يعرف بألواح موسى (ع)، فهي في الأخير مقرونة باسم النبي موسى (ع). "وقد ذهبت اليهودية والمسيحية عبر قرون طويلة إلى أن مؤلفها هو موسى (عليه السلام) نفسه [...] وقد شرع الناس ابتداء من القرن الأول قبل المسيح يدافعون عن هذه النظرية."[25] ولعل ما يؤيد هذا المزعم هو ما جاء في التوراة نفسها، في سفر الخروج تحديدا: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ»."[26] ويقصد دوما بـ(الكتاب) في نصوص الكتاب المقدس: التوراة، وتظهر بين الحين والآخر في نصوص الكتاب المقدس إشارات واضحة على موسوية نصوص التوراة، وعلى مصدرها الإلهي الخالص، وعلى زمن ظهورها بُعيد الخروج مباشرة.

لكن في المقابل فقد "نُسب إلى زمن يلي موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصة. أو بالأحرى الأسفار الستة الأولى (وفيهم سفر يشوع). لأن سفر يشوع يدرج في هذه المجموعة نفسها على أنه جزء منها."[27] وفي هذا المعنى تتحدث الأناجيل ورسائل القديسين في العهد الجديد عن ارتباط التوراة باسم النبي موسى (ع). وفي الاعتقاد اليهودي والنصراني: إن "موسى النبي ابن عمرام ابن قاهات ابن لاوي هو كاتب الأسفار الخمسة ما عدا الأصحاح الأخير من سفر التثنية الذي يتضمن خبر نياحته ودفنه، ويعتقد الدارسون أن يشوع بن نون هو الذي كتبه."[28] وهذا هو الرأي الغالب في الاعتقاد اليهودي والنصراني، وهو موضوع جدل خصب، تتمخض عنه مناقشات ذات أهمية بالغة في فهم وتفسير نصوص الكتاب المقدس.

لقد جاءت الكثير من النصوص التوراتية التي تؤكد هذا المزعم وتدعمه، وتزيد من مصداقية الافتراض القائل بمُوسوية النصوص الواردة في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (التوراة)، جاء في سفر الخروج: "[15]فَانْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ وَلَوْحَا الشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. [16]وَاللَّوْحَانِ هُمَا

صَنْعَةُ اللهِ، وَالْكِتَابَةُ كِتَابَةُ اللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى اللَّوْحَيْنِ."[29] ومن ثمَّ، فإن سياق القصة يدل على أن التوراة نزلت دفعةً واحدةً بعدما ذهب موسى لميقات ربه، وكان ذلك بعد نجاته وقومه من آل فرعون، الأمر الذي جعل موسى (ع) يتوجه إلى قومه بالتعليم والتوجيه والموعظة. فالتوراة حسب نصوصها نفسها، جاء بها موسى (ع) وحيا عن ربه تعالى اسمه، من جهة، ونزلت دفعة واحدة في لوحين مكتوبين، هما من صنع الله سبحانه وتعالى، من جهة ثانية.

بالموازاة مع الرأي القائل أن موسى (ع) هو كاتب التوراة وواضعها؛ أي أنها نص واحد كامل، تشكّل دفعة واحدة، فإن هناك من يعترض على هذا الرأي، على اعتبار أن "من يقرأ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية لا يعتقد أن موسى (ع) هو الكاتب، بل يجزم أن الكاتب غير موسى [...] وليس في توراة موسى ما يدل على اسم الكاتب، وإنما يشتبه في أن (عزرا) هو الكاتب من آيات سفر عزرا وسفر نحميا [...] ولا يمكن أن يُشتبه في إلا في عزرا كتبها في بابل أثناء السبي."[30] فالتوراة في تقديرهم هي من وضع الكُهان وتأليفهم، هؤلاء الكهان الذين جاؤوا بعد موسى (ع) بفترة زمنية بعيدة جدا.

وربما في ذروة حماسهم ودفاعهم عن إلهية مصدر الألواح التي جاء بها موسى (ع) من ميعاد ربه، قد مال الفرّيسيّون والكهان وكتبة الوحي إلى ملء الفراغات والتناقضات الواردة في نصوص التوراة، فأعملوا المخيلة لحل هذه التناقضات وإيجاد تفسير مقنع للتساؤلات التي يطرحها النص المقدس على قرائه.

من أجل ذلك جاء القصص التوراتي لملء هذا الفراغ، وإيجاد الإجابات المقنعة للتساؤلات التي غالبا ما تُطرح حول نصوص الكتاب المقدس. "وقد كان موسى بطلا أسطوريا بالنسبة لليهود، مهمته أن يكون المتكلم باسم (يهوه). ولعل المؤلفين الفريسيين قد لاحظوا نقطة الضعف في الرواية التي ألفوها، وهي عدم وجود أي شاهد غير موسى، فجعلوا من (اجتماعات القمة) بين موسى و(يهوه) اجتماعات سرية للغاية، بناء على تعليمات (يهوه) نفسه، إذ أعطى هذا الأخير تعليمات مشددة لكي لا يتجسس أحد عليها."[31] وقد جاء في سفر الخروج نص صريح يبرر الظروف السرية التي ميزت لحظة ميلاد التوراة: "[10]فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَدًا، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، [11]وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيُونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ. [12]وَتُقِيمُ لِلشَّعْبِ حُدُودًا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، قَائِلاً: احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى الْجَبَلِ أَوْ تَمَسُّوا طَرَفَهُ. كُلُّ مَنْ يَمَسُّ الْجَبَلَ يُقْتَلُ قَتْلاً. [13]لاَ تَمَسُّهُ يَدٌ بَلْ يُرْجَمُ رَجْمًا أَوْ يُرْمَى رَمْيًا. بَهِيمَةً كَانَ أَمْ إِنْسَانًا لاَ يَعِيشُ. أَمَّا عِنْدَ صَوْتِ الْبُوقِ فَهُمْ يَصْعَدُونَ إِلَى الْجَبَلِ»."[32]

وإن صح هذا الترجيح حسب المدافعين عن موسوية التوراة، فإن كتابة نصوصها على يد الكهنة والكتّاب، هي كذلك من صميم الوحي والإلهام، فقد تمّت كممارسة طقسية دينية تسمى الوحي، فـ"كلمة وحي تعريفها أنها تأثير فائق الطبيعة لروح الله على الذين كتبوا الأسفار المقدسة. وهذا التأثير ضمن أن كل ما كتبوه كان تماما ما قصد الله أن يكتبه لتوصيل الوحي الإلهي."[33] وعليه؛ فكتابة النص المقدس (خاصة الأسفار الخمسة)، والتعديلات التي مست نصه الأصلي وما نجم عنه من ظهور النسخ المختلفة والمتناقضة، هي في نظرهم من صميم وجوهر النص الأصلي، فلا هي تحريف ولا تعديل ولا تغيير في جوهر النص الموسوي الأصلي.

والمعروف عند اليهود في تاريخهم، أن "موسى (ع) لما أعطاه الله التوراة موعظة وتفصيلا لكل شيء، أفرز سبط لاوي ـ الذي هو منه ـ لحمل التوراة، يرفونها ويعرّفونها للناس. وكتب منها ثلاث عشرة نسخة، وضع نسخة في التابوت،

وسلم لكل سبط نسخة للذكرى، وظلت التوراة صحيحة في أيدي بني إسرائيل لم يغيروا منها حرفا واحدا إلى زمن الأسر البابلي."[34] والمعروف كذلك أنّ كاهنا من حاخامات بني إسرائيل يدعى: عزرا الكاهن، قد دوّن التوراة بعد ضياعها إبان السبي البابلي، وعرضها عليهم فأخذوها عنه، وأخذت كل فرقة التوراة عن الكاهن عزرا، لتظهر بعدها في القرون اللاحقة الاختلافات النصية التي تمخضت عنها: التوراة العبرانية والتوراة السامرية والتوراة اليونانية فيما بعد، وعليه ظهرت أكثر من نسخة للتوراة في بني إسرائيل. وهذه النسخ الثلاث نفسها هي ما سوف يجتهد الجُماع والنُساخ من الكهنة ـ في عصور متأخرة بعد ظهور المسيحية والعهد الجديد ـ في توحيد نصوصها، وإخراجها في النص الذي نراه اليوم.

يبدو إذاً، أن النص التوراتي قد ظهر في شكله المكتمل أول مرة في زمن الخروج من مصر، ثم ضاع هذا النص وتفرق ردحا من الزمن، ثم تمّ جمعه وتوحيد بنائه أيام السبي البابلي، ليعود ويتفرق من جديد على الأقل في ثلاث نصوص مختلفة، ثم يعاد مرة أخرى جمعه وتوحيد نصوصه قُبيل ظهور المسيح (ع) أو بعده بقليل. "وهكذا يكون تنظيم نصوص الأسفار الخمسة قد امتد على الأقل على مدى ثلاثة قرون."[35] كل هذه السلسلة المتعاقبة من عمليات التفكيك والتركيب لنصوص التوراة، على مدى زمني طويل جدا، وفي بيئة اجتماعية ذات حراك ثقافي سريع جدا، ولا يزال الاعتقاد قائما أن نصوصها قد تم الحفاظ عليها على الشكل الذي ظهرت عليه أول مرة. إن التحليل النقدي لنصوص التوراة يشير بوضوح إلى كونها قد تشكلت على مراحل وربما دفعة واحدة، وفي ظروف تاريخية واجتماعية غير التي تخبرنا به هذه النصوص نفسها. وأكثر من ذلك فنصوص متعددة المصادر، وهذه المصادر نفسها هي سلسلة متعاقبة من عمليات الهدم والبناء واسعة النطاق الزماني والمكاني، مع تدخّل وتداخل العوامل البشرية المختلفة.

كل هذه المؤشرات تدل دلالة واضحة على أن النص الأصلي للتوراة قد تعرض لسلسلة منظمة من عمليات التفكيك والتركيب، نتج عنها النص التوراتي الذي نراه اليوم. وكنتيجة لذلك ظهرت المصادر التوراتية المشهورة وهي ثلاثة كما سلف ذكرها، وعليه فـ"الاختلافات في الأسماء التي يشار فيها إلى الله، وتكرار بعض القصص والفروق البينة في اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة، كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، كانت في الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة."[36] وهذه المصادر المختلفة نفسها هي من بين نتائج عمليات التفكيك والتركيب المتسلسلة للنص التوراتي الأصلي في مراحل زمنية متعاقبة. وعلينا هنا أن نتخيل مدى حجم التغيير والتعديل الممكن والمحتمل في بنية النص الأصلي للتوراة، بعيدا عن حسابات العواطف الدينية والأحكام الأخلاقية والخلفيات الأيديولوجية والقومية، التي تجنح بنا للتمسك بالرأي القائل أن التوراة التي بين أيدينا الآن هي توراة موسى (ع) الأصيلة.

يفتتح العهد القديم نصوصه بالأسفار الخمسة (التوراة) التي تُنسب في الغالب ـ كما رأينا ـ إلى النبي موسى (ع)، "وهذه الأسفار هي القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين العبري بأسرها، ولكنها تنطوي على أخطر المشاكل النقدية: وإن تفسير أقدم تاريخ سياسي وديني للعبريين يعتمد كله على تاريخ تأليفها، وتحديد مصادرها وتاريخها [...] فلا عجب إذا كانت موضوع جدل معقد."[37] وتدور نصوص العهد القديم جميعها حول فكرة جوهرية، هي وعد الله الذي قطعه لكليمه موسى (ع) ـ والذي جاء في سفر الخروج ـ وذلك مقابل إتباع الوصايا التي أوصى بها الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل في الألواح المنزّلة على النبي موسى (ع)، ومنه تم اشتقاق اسم جزئي الكتاب المقدس (عهد قديم وعهد جديد).

"وإن رسالة الأنبياء لليهود هي، فقط، إتباع الشريعة لكي يأتيهم الوعد ـ أي أن يتملكوا الأرض ومن عليها ـ وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود."[38]

التوراة كتاب الشريعة عند اليهود، قد نُظمت أسفاره تنظيما محكما، وتمّ ترتيب مواضيعها بعناية فائقة. فـ"لو تعمقنا في كل من أسفار التوراة، لوجدنا أن كلا منها له غاية خاصة به ومحددة، تعطي اليهود الأمثلة والوصايا والتعليمات."[39] ولا ننسَ كذلك أن نوضح أن هذه الأسفار جميعها رغم اختلاف مواضيعها تلتقي في غاية واحدة تم تحديدها بدقة متناهية (شريعة اليهود المستنبطة من اللوحين المقدسين بعد الخروج مباشرة). وبالتالي ليس من السهل علينا الاعتقاد أن هذا التنظيم المحكم الذي تمتاز به أسفارها من حيث مواضيعها قد ظهر فجأة خلال حقبة تاريخية قصيرة، وهذا ما يزيد من احتمالية التدخل البشري في تشكيل نصوصه.

وحتى الأسماء في الرواية التوراتية لها دلالة عميقة وارتباط مباشر بالسير العام للأحداث، مثلا: "موسى كلمة عبرية معناها المنتشل من الماء، ولد موسى النبي وقت اضطهاد فرعون لبني إسرائيل وتربى في بيت فرعون، لكن أمه يوكابد لم تكن بعيدة عنه، بل علمته إيمان آبائها إبراهيم وإسحاق ويعقوب."[40] وكذلك جاء في سفر الخروج: "[10]وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوسَى» وَقَالَتْ: «إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ»."[41] فاسم الشخصية الرئيسية في القصة ـ حسب تفسير اليهودية والنصرانية ـ مستوحى من أول حدث مهم يطالعنا في أحداث القصة، ويدل هذا أن قصة موسى (ع) قد حيكت خيوطها ونظمت فصولها لتخدم هدفا محددا سطّرته الجماعة الدينية التي اهتمت بتدوين كتاب التوراة بأسفاره المتعددة.

الأسفار التي وضعها الأنبياء فيما بعد، ودوّنها كتّاب العهد القديم والكهنة والقضاة... الخ، تدور حول الفكرة ذاتها، وتتمركز حولها. وعليه "ظلت هذه الشرائع من تلك الأيام النكدة إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود، ولا يزال تَقيُّدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر في تاريخ العالم."[42] فهي نموذج واقعي للاستمرار الثقافي بين الأجيال عبر التاريخ، ورغم ما تعرض له النص المقدس من عمليات التعديل المختلفة، فقد حاول اليهود واستطاعوا الحفاظ على تراثهم الثقافي عبر الأجيال المتعاقبة على امتداد القرون الطويلة.

تمثل هذه الأسفار الخمسة وحدة تيمية (موضوعية) مترابطة معا، تبدأ بقصة خلق الكون من أجل الإنسان، وخلق الإنسان نفسه، ومحنة الخطيئة الأولى، وطريقه للخلاص في الأرض التي هيأها الله لاختباره فيها. وكيف اختار الله الأنبياء الأولين إبراهيم وإسحق ويعقوب ليحققوا خلاص الإنسان وخلاص بني إسرائيل وهدايتهم، وتروي قصة الاستعباد والخلاص في مصر، وقصص العصيان والتيه والضلال. لكن هذه "الأسفار تختلف في موضوعاتها وأسلوبها، ففيها تاريخ وفيها تراجم أشخاص وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكمة وأمثال ونبوءات. وللكتاب هدف واحد يربط بين أجزائه المختلفة، وهو الفدى والكشف عن طريق الخلاص."[43] هكذا تحقق هذه الأسفار حقبة هامة متكاملة في حياة البشرية من جهة علاقتها بالله، وتمثل دورا هاما يعيشه الإنسان، فيه يلمس رعاية الله له واهتمامه بخلاصه. ومما يجدر ملاحظته كذلك هو أن التاريخ والقصص في هذه الأسفار يمتزج بالإيمان والعقيدة، فلا انفصال بين الأحداث التاريخية والعقيدة اليهودية.

إذن فـ"التوراة مجموعة كتابات لاهوتية وتاريخية دونت لشريعة أتباعها وتاريخيهم، والكلمة بحد ذاتها تعني الشريعة أو التعاليم الدينية. وأسفارها غير متفق عليها، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفارا لا يقبلها أحبار آخرون."[44] فهنالك اختلافات نصية بين نصوص التوراة في ثلاث نسخ منها على الأقل (السامرية، العبرانية، والسبعينية)، فهذه الأخيرة تنطوي على تناقضات نصية واضحة. "والمشاكل المتعلقة بتأليف بقية أسفار العهد القديم هي عامة أقل خطورة من المشاكل المتعلقة بالأسفار الخمسة، وهي خاصة أقل أثرا منها في تفسير التاريخ والدين عند العبريين."[45] فجوهر الخلاف بين النسخ المختلفة من العهد القديم، غالبا، هو الأسفار الموسوية، وهي ركيزة باقي الأسفار وأصلها الذي تنبثق عنه.

ومهما كان هذا الترابط النصي الذي تمتاز به نصوص التوراة، فليس من الصعب على قارئ الكتاب المقدس، خاصة الأسفار الموسوية الخمسة، أن يكتشف المشاكل النصية التي ينطوي عليها. و"إن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كلتاهما عن الأخرى في سفر التكوين، تتحدث إحداهما عن الخالق باسم "يهوه" على حين تتحدث الأخرى عنه باسم إلوهيم. ويعتقد هؤلاء العلماء أن القصص الخاصة بيهوه كتبت في يهوذا، وأن القصص الخاصة بإلوهيم كتبت في إفرايم، وأن هذه وتلك قد امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة."[46] وهذا يطرح أمامنا تساؤلات حول ظروف تشكل النص المقدس، خاصة النصوص التي تروي قصص الخلق وقصص الأنبياء وقصة الخروج الأعظم، والأخطر من ذلك التشابه والتطابق في بعض المفاهيم العقائدية بين التوراة والديانات الوثنية المجاورة.

يمكن رصد هذا التداخل بين نصوص التوراة ونصوص الديانات الوثنية المجاورة، في مفاهيم عديدة تبناها العهد القديم واحتوتها نصوصه، لكن أهمها هو مفهوم الرب الإله، وهو أخطرها لقيمته العقائدية الذي توليه الديانات السماوية أهمية قصوى. حيث تتداخل صفات الرب وأسماؤه وأحواله، وتتناقض أحيانا، في ثنايا الكتاب المقدس، على طول جميع الأسفار والأناجيل، وفي بعض الأحيان على طول السفر الواحد. و"إذا وجدنا مثل هذه الصفات فإننا لا نجد تعليلا إلا أنها ثمرة ثقافات طارئة، أدّت إلى مراجعة عقائدية في مرحلة من مراحل حياتهم، أو هي قدر مما بقي من آثار أنبياء بني إسرائيل، مختلطا بكثير مما دخل عليها من ديانات وخرافات الشعوب التي نزلوا بها أو أحاطت بهم."[47] فالرب الإله في التصور اليهودي من خلال نصوص العهد القديم (التوراة خاصة) أقرب إلى التصور الوثني للرب في الثقافات والديانات المجاورة لهم منه إلى التصور العقائدي الذي جاءت به الديانات السماوية أو ديانات التوحيد.

هذا التشابه بين اليهودية والديانات الوثنية في مفهوم الرب لا تنفك تثبته الدراسات الأركيولوجية يوما بعد يوم، وهو تشابه يصل في بعض الأحيان حدّ التطابق، ولا يمكن إرجاعه ببساطة إلى الصدفة، بقدر ما هو احتكاك ثقافي عقائدي بين العقائد المتجاورة، قد تم في مراحل تاريخية بعيدة جدا وبطرق غير واعية في بعض الأحيان، بسبب طول فترة الاحتكاك وعمقه الاجتماعي. مثل حادثة العجل في بيداء سيناء، التي جاء ذكرها في التوراة والتركيز على أهميتها العقائدية في تاريخ اليهود، والتي تؤكد شكلا من أشكال الانتقال الثقافي والعقائدي، وشكلا من أشكال التداخل الديني بين الثقافات والديانات. وبالتالي، ليس من المستبعد أن تنتقل مفاهيم الرب الوثنية إلى عقيدتهم عبر نصوصهم الشفهية وطقوسهم التعبدية في مراحل متأخرة عند تدوينهم صحف التوراة والعهد القديم، وليس من المستبعد كذلك أن يكون كتبة الوحي من الكهنة والأحبار قد تأثروا في ظل هذه الظروف الثقافية بثقافات الشعوب المجاورة فتتسرب إلى مدوناتهم مفاهيم

أجنبية متعلقة بالرب وصفاته وأسمائه، وما دون ذلك من عقائد وقصص وأساطير وشرائع الديانات الوثنية التي جاوروها واحتكوا بها في تاريخهم الطويل.

بالإضافة إلى المصادر الوثنية التي يحتمل دخولها إلى نصوص التوراة، فإن المصادر التوراتية نفسها متعددة ومختلفة ومتناقضة ومتباعدة في الزمان والمكان عن بعضها البعض. و"إن تعدد المصادر يستدعي الخلافات والتكرارات [...] على تداخل التقاليد المختلفة المتعلقة بالخلق وذريات قايين، والطوفان، وخطف يوسف (عليه السلام) ومغامراته في مصر، واختلافات الأسماء المتعلقة بنفس الشخصية والعروض المختلفة للأحداث المهمة."[48] والأكيد لدينا أنه قد تمّ تأليف نصوص العهد القديم من مصادر مختلفة، متباعدة زمنيا، على مدى يزيد عن عشرة قرون، وهي مدة زمنية طويلة جدا بالنسبة لنص مقدس يدّعي المؤمنون به أنه من إلهام: مصدر واحد، وجدت في مناطق بعيدة جدا عن موطنها الأول الذي ظهرت فيه أول مرة. كما أنه يطرح تساؤلات عميقة حول السر الكامن خلف الشكل المنظم والمنسق الذي تتجلى فيه نصوص التوراة، خاصة في النصوص السردية، حيث تبرز تفاصيل دقيقة منظمة ومقصودة لا يمكن التغاضي عن البحث فيها.

وعلى الأقل "قد حددت أربعة مصادر أساسية: المصدر اليهَوي، وقد ألف حوالي 850 ق م، في مملكة يهوذا. وسمي كذلك لأنه يستعمل اسم العلم يهوه. والمصدر الإلوهيمي لأنه يستعمل اسم إلوهيم، وقد أُلّف حوالي 770 ق م، في المملكة الشمالية. وقد أدمج هذان المصدران في مجموعة واحدة حوالي سنة 650 ق م. ومصدر التثنية وقد أُلّف وأُعلن العثور عليه زمن الملك يوشيا، هو ملك يهوذا سنة 620 ق م [...] والمصدر الكهنوتي، وهو يرجع إلى زمن عزرا، وقد أدمج في المصادر السابقة حوالي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد."[49] إن تنوع المصادر واختلافها يفسر الكثير من التناقضات والتضاربات في روايات العهد القديم، مثل اسم الإله (يهوه، إلوهيم، الرب)، وأنساب الأنبياء وأسماءهم، وحتى العقائد والشرائع الدينية التي أصبحت محل خلاف بين النصوص المتباينة.

وتعددية المصادر التوراتية حقيقة تاريخية لا ينكرها حتى أكثر المؤيدين لموسوية التوراة تعصبا، فرغم ذلك "يوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد تكون جُمعت من مصادر مختلفة، وربما اشتملت على تغييرات وإضافات متأخرة، ولكنهم يصرون على أنها صادرة أساسا عن موسى."[50] فهي في الأخير ذات مصدر موسوي، تعود في جذورها إلى الألواح المقدسة التي ظهرت أول مرة في زمن الخروج، أو في أسوأ الاحتمالات بعد زمن الخروج بقليل، وهي من بقايا الوصايا التي أوصى بها الرب شعبه المختار. من أجل ذلك تُنسب هذه الأسفار إلى النبي موسى (ع) وتُسمى باسمه، لا لكونها من وضعه وتأليفه بالمعنى الحرفي، بل لأنها مستوحاة منها ومقتبسة من نصوصها.

لكن هذه التعديلات النصية التي مست جسد التوراة ـ ورغم الاعتراف بها ـ هي نفسها ما يطرح أمامنا إشكاليات البحث العلمي والنقدي للنص المقدس، إنها إشكالات تتعلق بمحاولة الفصل بين ما هو إلهي ـ موسوي وبين ما هو كهنوتي ـ بشري، بين ما هو أصيل في النص المقدس وبين ما هو دخيل عليه. والفصل بينهما هو ذو علاقة وثيقة بفهم أجزاء كبيرة من النص المقدس، وفهم أجزاء تتعلق بالسرد القصصي فيه، وهذا الأخير يشكل الجزء الأغلب في النص المقدس (التوراة خصوصا). إن التدخل البشري المنظم والمقصود ـ ممثلا في اجتهادات الكهنة وكتبة التوراة ـ في نصوصها الأصلية، هو التفسير الأكثر صوابية والأكثر معقولية القادر على فهم بعض الظواهر السردية التي تمتاز بها القصة في

الكتاب المقدس، ظواهر تتعلق بالبنية السردية المميزة (الزمن السردي والفضاء السردي خاصة)، وتتعلق كذلك بمجموعة الاختيارات السردية المميزة التي لجأ إليها السارد في قصص التوراة. هذه الظواهر السردية المميزة لنصوص قصص التوراة، تعود كما أسلفنا، إلى طبيعة الظروف المساهمة في بناء النص المقدس عموما، كالتي رأيناها في نصوص القرآن الكريم.

ربما ما يزيد الأمر تعقيدا هو عندما نربط المشاكل السابقة بمشكل اللغة في النص المقدس؛ أي لغة التوراة. فهذه الأخيرة تثير مشاكل نصية جديدة تضاف إلى مشاكل نصية أخرى، خاصة المشاكل التي تثيرها عمليات الترجمة وإعادة الترجمة والترجمة عن الترجمة... الخ، والتي يُحتمل أن التوراة قد مرت بها في تاريخها الحافل بالأحداث. فإذا رجحنا صوابية الرأي القائل بموسوية الأسفار الخمسة الأساسية في العهد القديم؛ أي أن موسى كاتبها ومؤلفها، فإنه من المحتل أن تكون التوراة قد ظهرت أول ما ظهرت بلغة غير اللغة العبرية، هي على الأرجح اللغة المصرية القديمة. "ثم إن الكتابة . فيما يتصل بالألواح . يرجح أنها كانت بالمصرية القديمة التي كان يعرفها موسى بحكم نشأته."[51] وبالتالي تُطرح فرضية ترجمة التوراة إلى اللغة العبرية من اللغة المصرية القديمة التي تُعتبر وفق هذا الطرح اللغة الأم للنص المقدس.

لكن من المرجح أن تكون لغة التوراة؛ هي اللغة العبرية، وهي لغة اليهود الأصلية؛ بناءً على ما هو متعارف عليه في تاريخ الأديان. "وكانت اللغة العبرية أعظم اللغات الرنانة على ظهر الأرض، ألفاظها مليئة بالأنغام الموسيقية القوية رغم ما فيها من حروف حلقية. وقد وصفها رينان بقوله: أنها (كنانة مليئة بالسهام، وأبواق نحاسية تدوي في الهواء). ولم تكن تختلف كثيراً عن لغة الفينيقيين أو الموآبيين. وكان اليهود يكتبون بحروف هجائية وثيقة الصلة بالحروف الفينيقية، ويعتقد بعض العلماء أنها أقدم ما عرف من الحروف."[52] ومعروف كذلك أنّ اليهود هم أهل النص المقدس، ولغتهم العبرية لغة النص الأصلية، وكما أخبر القرآن الكريم واقتضت الأعراف الدينية، أن كل نبي إنما يأتي بلسان قومه؛ ومن ثمَّ فإن لغة التوراة هي العبرية، فالعبرية لغتهم والتوراة كتابهم وموسى (ع) من أنبيائهم. وقد أخبرت الكتب التي جاءت بعد التوراة (العهد الجديد والقرآن الكريم) في أكثر من موضع أنهم أُوتوا الكتاب؛ ومن ثَمَّ فالكتاب بلغتهم ولسانهم.

وما يقوي فرضية أنّ لغة التوراة هي العبرية؛ لأنها ارتبطت باليهود وارتبط اليهود بها، ولا زالت التوراة وكتبهم المقدسة مكتوبة بها، ومن اللغة العبرية القديمة ترجم العهد القديم إلى اللغات الأخرى، وعليه فإن الرأي القائل بأن لغة التوراة هي اللغة العبرية هو الرأي الأرجح. وعليه يرجح علماء الأديان أن "النص الأصلي للعهد القديم كتب باللغة العبرانية فيما عدا أجزاء بسيطة من سفري عزرا ودانيال وآية واحدة من سفر أرميا كتبت بالأرامية."[53] فإذا صحت هذه الفرضية الأخيرة، فإن هذا يعني أنها قد تُرجمت في عصور لاحقة إلى اللغة الأصلية؛ العبرية، وهذا ما يفتح باب الجدل واسعا حول مدى أمانة ومصداقية الترجمات ومدى قدرتها على حفظ النص الأصلي من الضياع والتحريف.

ورغم افتراضنا أن اللغة العبرية هي اللغة الأصلية لنصوص العهد القديم (التوراة خاصة)، على اعتبار أن موسى (ع) من العبرانيين وخاطب قومه بلغتهم، وجاءت دعوته بلسانهم. "ومع هذا فإن أقدم نص عبري يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد، وثمة نصان باليونانية يرجعان إلى القرن الرابع الميلادي، أحدهما بمكتبة الفاتيكان، والآخر بالمتحف البريطاني، أما المدونات الآرامية والسريانية فغير كاملة."[54] أما النصوص العبرية التي تُرجمت إلى لغات أخرى والتي أعيدت ترجمتها إلى العبرية نقلا عن هذه اللغات لأجنبية؛ خاصة النسخة اليونانية من التوراة، والتي تُعرف بالترجمة السبعينية، وهي النسخة التي تم نقلها من العبرية إلى اليونانية، ثم من اليونانية إلى العبرية، فتظهر فيها الكثير من المشاكل النصانية، والكثير

من التباينات النصية مع النسختين العبرانية والسامرية، وهي في الخير واحدة من مصادر التوراة التوفيقية التي تم الاتفاق على شكل نصوصها النهائية.

مسألة أخرى ذات أهمية بالغة تطرح نفسها أمام الكشف العلمي، تتعلق بالشكل الشفاهي للنص المقدس، وظهور النسخة التوراتية المدونة المقيدة كتابة. "وكان العهد القديم قبل أن يكون مجموعة أسفار . تراثا شعبيا، لا سند له إلا الذاكرة، وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار.. وكان هذا التراث يغني."[55] علينا إذاً في البداية أن ندرك أن نصوص التوراة في أصلها الأول هي نصوص شفهية، ورغم تسليمنا بظهورها مكتوبة في الألواح المقدسة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي موسى (ع) أول مرة.

هنالك فجوة تاريخية واضحة بين لحظة نزول التوراة أو ظهورها وبين لحظة تدوينها، فحسب النسخ المتوافرة لدينا يمكننا تقدير هذه الفجوة الزمنية بخمسة قرون على الأقل، حيث "إن أقدم نصوص التوراة العبرية يعود إلى القرن التاسع قبل المسيح."[56] بينما يقدر زمن ظهورها حوالي القرن الرابع عشر قبل المسح، وهي فجوة زمنية كافية لإحداث تعديلات نصانية جوهرية على النص الأصلي، خاصة إذا ما اعتبرنا فرضية التوارث والتناقل الشفهي للتوراة عبر الأجيال خلال حقبة تاريخية تناهز العشرة قرون من الزمن قبل تأصيلها في النسخ الثلاث المعروفة لدينا.

فقد تم حفظها في المخيال الجماعي العبراني وتم تناقلها عن طريق المشافهة أو التوارث الشفهي عبر الأجيال لمدة تقل أو تزيد عن العشرة قرون بقليل؛ فـ"قبل أن تصبح مجموعة أسفار، كانت تقليدا شعبيا يرتل عفويا من الذاكرة التي كانت في الأصل الوسيلة الوحيدة لتداول الأفكار. وفي المرحلة البدائية يسبق النظم النثر، ولذلك كان الإنشاد دأب كل شعب، في إسرائيل كما في غيره. وشعب إسرائيل مدفوعا بظروف تاريخية أنشد كثيرا وأجاد، في ذروة الحماس كما في هوة اليأس، مساهما بقوة في كل ما يقع له."[57] فالنص المقدس الذي نراه اليوم هو الشكل المدون للنصوص الشفهية المتداولة عبر الأجيال، المحفوظة في الذاكرة الجماعية اليهودية لعدة قرون، في ظل ظروف تاريخية أهم ما يميزها هو السبي البابلي لليهود.

إن الاعتماد على الشكل الشفهي للتوراة عند اليهود العبرانيين، لا يدل بتاتا على جهلهم بالكتابة، بل كانت معروفة مألوفة في ثقافتهم، رغم ذلك بقي الشكل الشفهي للتوراة الأكثر هيمنة في ثقافة اليهود ردحا من الزمن، وربما كانت الثقافة الشفهية نوعا من الممارسات الدينية والطقوسية المتعلقة بتعليم نصوص التوراة وترتيلها بين الأجيال، أكثر من كونها مجرد وسيلة من وسائل المحافظة على هذا النص المقدس لعدم معرفتهم بالكتابة. "على أن ثمة مجالا للتفكير بأنه بعد استقرار الشعب اليهودي في أرض كنعان، أي في نهاية القرن الثالث عشر قبل المسيح، استعملت الكتابة، دونما دقة، لنقل العرف والمحافظة عليه، حتى بالنسبة إلى الشرائع التي يخيل للناس أنها ذات ديمومة أطول."[58] وهذا ما يفسر جنوح العبرانيين أيام موسى (ع) إلى الاعتقاد بنزولها منسوخة في الألواح المقدسة، وعليه ظهر الميل إلى تدوين التوراة في الألواح، وتناقلها عبر الأجيال جنبا إلى جنب مع شكلها الشفهي.

وعموما، الثقافة الشفهية من صميم الديانة اليهودية، وهي تقليد ديني أكثر من كونها حاجة اجتماعية وثقافية، إذ "يطلق لفظ التوراة: على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ التلمود: على الشريعة الشفهية."[59] ونعلم ما للتلمود من عظيم التأثير في جوهر العقيدة والشريعة اليهودية للعبرانيين، إذ رغم تدوين الكتاب المقدس لا تزال الثقافة الشفهية ذات تأثير في

ثقافة اليهود وعقيدتهم. ولليهود في طقوسهم التعبدية تقاليد عريقة وعلى قدر كبير من التعقيد، ويبدو من خلال طقوس التعبد اليهودية، قراءة وتحفيظ التوراة، أنها كتاب شفهي، تعتمد على المشافهة والحفظ أكثر من اعتمادها على التقييد والتدوين. فقد "كان اليهود يقسمون أسفار موسى الخمسة إلى أربعة وخمسين قسما بعدد أيام السبت في السنة، وتسمى (فرَشة) بالعبرية بحيث تتم قراءتها على مدار السنة، وكانت قراءة الأسفار الخمسة يتبعها قراءة أجزاء من الأنبياء."[60] فالمشافهة في حفظ وتعليم النصوص التوراتية كما افترضنا سابقا، من جوهر العقيدة اليهودية، لا لنقص معرفتهم وقصور لغتهم عن الكتابة والتدوين، وهي كذلك خاصية تميز نصوص القرآن الكريم قبل وبعد تدوينه.

ومهما بلغت ثقتنا في قوة الحافظة الجماعية لبني إسرائيل، ومهما كانت الذاكرة الجماعية للعبرانيين على قدر من الدقة والقوة والأمانة في الحفظ، ومهما افترضنا من ترجيحات تدعم الرأي القائل بحفظ النص الأصلي للتوراة شفاهة، فإن الظروف السوسيوتاريخية التي مرّ بها بنو إسرائيل (السبي، التفريق والتشريد في الأرض، الاحتكاك الثقافي مع الديانات المجاورة....)، تزيد من عمق مخاوفنا المتعلقة بمدى المحافظة على سلامة النص الأصلي للتوراة. حيث "يضم العهد القديم ثلاث مجموعات من الأسفار، كتبت على مدى تسعة قرون تقريبا، بلغات مختلفة، اعتمادا على التراث المنقول شفويا، وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداث حدثت، أو ضرورات خاصة، في عصور متباعدة أحيانا."[61] وربما هذا ما دفع بالمدونين وكتبة الوحي إلى تقييده كتابة، ولو بعد مدة زمنية طويلة كانت كافية لتغييره وتعديله، وهو ما واجهه القرآن الكريم بعيد ظهوره بزمن ليس بالطويل مقارنة بالزمن الذي استغرقته التوراة لتدوين نصوصها.

في ظل تلك الظروف السوسيوتاريخية التي مرّ بها شعب اليهود على مر التاريخ، ونظرا لكون نصوصهم المقدسة نصوصا شفاهية محفوظة في الذاكرة الجماعية اليهودية، فقد "كان الجهد الأساسي للعبريين منذ أقدم العصور موجها إلى حفظ الأسفار التي تضم تاريخهم القومي ودينهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة. وقد وصلت إلينا نتيجة جهدهم الدائب في صورة كتاب، أو بتعبير أصح، مجموعة كتب هي أعظم عمل أدبي للعبريين في العصور القديمة، ونعني به كتاب العهد القديم."[62] والظروف التي ساهمت في تشكيل نص العهد القديم على الشكل الذي هو عليه اليوم، هي نفسها الظروف التي دفعت بالكُتاب الأوائل إلى تدوين النص المقدس وتقييده في كتاب يحفظ عقيدة بني إسرائيل من الضياع والتحريف، وهي ظروف تشبه الظروف التي دفعت الخلفاء الراشدين بعد وفاة الرسول (ص) إلى كتابة النص القرآني الكريم وتقييده وحفظه من الضياع.

استأثر بتدوين العهد القديم كتبةُ الشريعة، وهم الكهنة ورجال الدين الفرّيسيون، الذين اهتموا بكتابة الشريعة وعكفوا على تدوينها، وهم جماعة من الكهنة والأحبار ممن استأثروا بالسلطة الدينية لكتابة النصوص المقدسة، فقد "تسمّوا بالحكماء، والآباء، وكانوا يمثلون الزعامة الدينية أيام الحكم الفارسي واليوناني والروماني. وتطورت وظيفتهم الدينية، فأخذ كثير منهم يفتحون المدارس الخاصة، ينشرون من خلالها برامج للتعليم الديني."[63] وعليه وقع الاتفاق على نصوص العهد القديم بينهم، ففُرضت على اليهود بقوة السلطة الدينية التي امتلكها هؤلاء الكهنة على غيرهم، من أجل ذلك بقي يُنظر إلى إنه يعكس تصور جماعة من الكهنة فقط لا غير، خاصة لدى الأرثوذكس اليهود.

لقد أخذت المؤسسة الدينية اليهودية على عاتقيها مهمة وضع النسخة المدونة من العهد القديم وكتابة النصوص المقدسة المترامية الأطراف هنا وهناك، وهي مؤسسة ذات سلطة دينية مطلقة، تجلت خصوصا في سلسلة الاختيارات النصية التي جنحت إليها أثناء اشتغالها على تدوين العهد القديم، ممثلة في كهنة المجمع الديني الأكبر. من أجل ذلك فـ"العهد القديم عبارة عن مجموعة أسفار رجال المجمع الأكبر الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفا من مائة وعشرين عضوا، ينظرون في شؤون الشعب، ومن أشهر رجاله عزرا ونحميا وزروبابل ودانيال وحجاي وزكريا وملاخي ومردخاي."[64] لقد تولى هؤلاء الكهنة وعلى رأسهم الكاهن الأعظم عزرا، ترسيمَ نصوص التوراة والعهد القديم، فوضعوا نصوصا وحذفوا نصوصا أخرى حسب ما اقتضته رؤيتهم وتحت حماية سلطتهم الدينية المطلقة، فاستقرت نصوصه على الشكل الذي اتفق عليه كهنة المجمع الديني الأعظم.

ورغم هذه الجهود الرامية للمحافظة على سلامة النص المقدس، وفي ظل النشاط السياسي والثقافي الحضاري الذي ميز منطقة الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد السبي، وفي ظل الانقسامات الدينية والمذهبية والسياسية، لم يسلم العهد القديم بعد تدوينه من الضياع والتحريف، وظهرت كنتيجة لذلك ثلاث نسخ من التوراة، أصبحت فيما بعد موضوعا للاجتهاد الديني من أجل توحيدها في نسخة واحدة. "لقد كان الاتجاه في القرن الأول قبل المسيح إلى تثبيت نص مفرد. ولكن كان لابد من الانتظار قرنا آخر بعد المسيح، لكي يصبح نص التوراة محددا."[65] وكان لزاما على كهنة اليهود، ورجال الدين المسيحيين أن يكثفوا جهودهم من أجل الاستقرار على نص واحد وموحد للكتاب المقدس، خاصة العهد القديم الذي كان موضع خلاف شديد بين الملل والنحل اليهودية وحتى النصرانية فيما بعد.

قبل ذلك، كان الكتبة ومدوّنو الشريعة أنفسهم موضع شك وذمّ بين الفرق الدينية المختلفة، لقد انقسم اليهود والنصارى في وجهات نظرهم للكهنة وكتاب الوحي، واتخذوا تجاههم مواقف متباينة. فـ"(الكتبة) لدى اليهود هم مدونو الشريعة، وبالعبرية (سوفير) أي كاتب الأسفار. ويقصد بكلمة كتبة بشكل خاص مدونو الشريعة والكتب المقدسة بعد السبي إلى بابل، إلى جانب الفريسيين [...] يتمتعون بسمعة ممتازة واحترام زائد لدى اليهود الأرثوذكس بشكل خاص، لأنه لولاهم لما بقيت الشريعة كما هي اليوم ـ أو بالأحرى لما كتبت بالشكل الذي نعرفه اليوم."[66] رغم أن سمعتهم سيئة لدى المسيحيين الإنجيليين، فهم كما جاء في الإنجيل، مزورون ومحرفون لكلمات الله التي جاء بها موسى عليه السلام في ناموسه. لقد أضافوا ـ حسب المشككين في صحة نصوص التوراة ـ الكثير من آرائهم الكهنوتية إلى النصوص الأصلية التي جاءت في الألواح الموسوية المقدسة، وافتروا على الله كذبا وحرفوا الكلم عن مواضعه. وعليه فنصوص التوراة والعهد القديم مشكوك في مصداقيتها الدينية، ليست نصوص ألواح النبي موسى (ع)، وليس كلمات الرب الإله في شيء.

لكن من وجهة النظر الكهنوتية، ولو عدنا إلى السياقات التاريخية التي صاحبت عملية تدوين التوراة، لوجدنا أن "أهم أثر للأنبياء في معاصريهم هو كتابة التوراة. وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية، فأخذ الكهنة يتساءلون ألم يَأْنِ لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية. ورأوا الأنبياء يعزون إلى يهوه ما يجيش في صدورهم من عواطف يؤمنون بها ويعتقدونها، فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية، ويضمنون بها معونة الأنبياء، وذلك بما تتضمنه من آرائهم القليلة التطرف."[67] ففي خضم هذا النشاط الثقافي السريع والضخم، إبان السبي البابلي لليهود، تداخلت ثقافة اليهود ونصوصها

مع الثقافات البابلية ونصوصها، ونتج عن ذلك استلهام للكثير من النصوص الدخيلة على التوراة، وتوظيفها في بناء شكل جديد من النص المقدس، هذا الشكل الأخير هو على الأرجح تقاطع نصوص التوراة مع غيرها من النصوص الدخيلة. وعليه من المحتمل أن أساطير الثقافات والديانات المجاورة (البابلية خاصة) قد تسربت إلى نصوص الكتاب المقدس عند تدوينها أيام السبي البابلي وبعده، بطريقة غير مقصودة أحيانا ومقصودة أحيانا أخرى.

بغض النظر عن مدى مصداقية ونزاهة كتبة الشريعة، وبغض النظر عن دوافعهم السياسية والأيديولوجية، يبدو جليا أن "السبب الرئيسي الذي دعا العبريين إلى أن يحفظوا في كتاب العهد القديم الأسفار التي تضمها دون غيرها، [...] دينيا لا أدبيا، فاختيرت الكتب التي تصلح للتعليم الديني، أي التي تشتمل على تعاليم دينية وتاريخ ديني، وأدرج في التاريخ الديني تاريخ الشعب اليهودي من حيث هو تاريخ للعهد بين الله وإسرائيل."[68] ليعكف الكتبة والنساخ من الكهنة على تدوين هذه النصوص الدينية ويجتهدوا في تعليمها للأجيال اللاحقة، حفاظا عليها من الضياع، لأسباب دينية بدرجة أولى. وفي خضم عملية الاختيار المنظمة لنصوص دون أخرى، يرجح أن تكون قد ضاعت بعض النصوص ربما هي من صميم شريعة موسى (ع)، كما يرجح أن تدمج نصوص غير النصوص الموسوية في جسد التوراة. وربما كان هذا هو جوهر الخلاف بين الفرق اليهودية والفرق النصرانية فيما بعد حين حاولوا توحيد الكتاب المقدس في نسخة واحدة.

لقد تبنى أتباع المسيح عيسى (ع)، التوراةَ العبرانيةَ للشكوك الكثيرة التي كانت تحوم حول نصوص التوراة اليهودية والسامرية، خاصة وأن نصوص العهد الجديد جاء فيه ذمّ الفريسيين وكتبة التوراة من السامريين. "ومن أجل هذا حمل النصارى أتباع المسيح عليه السلام التوراة العبرانية وكتاب الإنجيل معا، ووضعوهما في مجلد واحد وسموه (الكتاب المقدس)."[69] لقد كان تشكيكهم في صدق وأمانة كتبة التوراة عاملا حاسما في تحديد النص التوراتي، "لقد حمل النصارى التوراة العبرانية لأن المسيح من اليهود العبرانيين، ولم يلتفتوا إلى التوراة السامرية لغنى العبرانية عنها."[70] فالنص المقدس المعتمد حاليا جاء نتيجة اختيارات لا تخلُ من شوائب الطائفية الدينية والميول القبلية في بعض الأحيان، وهذا ما يزيد من احتمالية التدخل البشري المنظم في تحديد النص المقدس من بين جملة النصوص المطروحة أمام كتبة النص ومدوّنيه.

ولا ننسَ في هذا السياق أن نذكّر مرة أخرى أن التوراة نص شفاهي، وإن الخاصية الشفهية المتواترة لنصوص العهد القديم ـ كما أسلفنا ـ قد ساهمت في دخول النصوص الأجنبية إليه، سواء أكانت أساطير بابلية أو نصوصا يهودية أضافها الكتبة ونساخ التوراة. ونعلم جميعا الهشاشة التي تمتاز بها النصوص الشفهية مقارنة بالنصوص المدونة والمكتوبة، فالنص الشفهي هش البناء قابل للتميع والاندثار والتغير والتداخل والتقاطع مع نصوص أخرى بسهولة أكبر من النص المكتوب. فـ"من المرجح أن ما يقصه العهد القديم عن موسى (عليه السلام) والآباء، لا يتفق إلا قليلا مع السرد التاريخي للأحداث. غير أن الرواة عرفوا في مرحلة النقل الشفهي كيف يفرغون في العمل فيضا من الأناقة والخيال، ليصلوا بينها بوقائع مختلفة وُفقوا معها إلى إبراز ما حدث لدى بداية العالم والبشرية، كما لو كان قصة معقولة في النهاية عند بعض الناقدين."[71] فنظرا للخاصية الشفهية للتوراة كان من السهل على الكهنة وحفظة الوحي التعديل في نصوصها، حسب ما تشتهيه أنفسهم أحيانا وحسب ما تُمليه الضرورة أحيانا أخرى، فنتج عن ذلك النص التوراتي الذي نراه اليوم: هجينا متجانسا من النصوص المختلفة.

لعل فترة السبي البابلي كانت ذات تأثير واضح الملامح في تكوين نص العهد القديم وقصصه المختلفة ذات النزعة الأسطورية حيث "نجد أن معظم الروايات التي ذكرت في الأسفار القديمة على أنها من صلب التاريخ اليهودي، إنما نقلت عن قصص وأساطير بابلية قديمة، جرى تحويرها وتعديلها بحيث تتماشى مع الرواية الفريسية عن تاريخ اليهود، مثل قصص التكوين والنمرود والطوفان، وبرج بابل، وغيرها."[72] فهي نتيجة مباشرة للاحتكاك الثقافي بين ثقافتين خلال فترات زمنية طويلة وحاسمة. لكن ومن جهة أخرى، ينتهي العبرانيون في نسبهم إلى جدهم الأكبر إبراهيم (ع)، كما جاء في نصوص التوراة نفسها. وتروي التوراة نفسها أن أباهم الأول إبراهيم (ع) قد هاجر من بلاد الرافدين فارًّا بدينه وعقيدته من اضطهاد قومه له، حاملا معه رصيدا ثقافيا سوف يتم توارثه عبر الأجيال في مراحل لاحقة.

ويرجّح البعض أن هجرة إبراهيم من أرض بابل إلى أرض كنعان لم تكن هجرة رجل واحد منفرد، بل هاجر معه قومه: أسرته زوجاته وأبناؤه وعبيده، وربما بعض من مؤيدي دعوته على أقل تقدير. ومعهم هاجرت عقيدة البابليين وأساطيرهم، التي رأينا بعضا منها في نصوص العهد القديم، وعليه يميلون إلى الترجيح "أن الأثر الواضح الذي نلمسه في كتابات التوراة الحالية ـ عند كلامهم عن الخليقة واصل الكون ونهاية الطوفان ـ ما هو إلا ما بقي في أذهان العبريين وقت كتابتهم هذا الجزء من التوراة بعد ذلك، مما جلبه معه إبراهيم من معتقدات بابلية، ولقّنها أولاده، وبقيت تنتقل بالرواية من جيل إلى جيل، حتى أيام تدوينها، على عهد سليمان بن داود."[73] وهذا الرأي مدخلٌ جيد لتفسير سر وجود آثار الثقافة البابلية في النص التوراتي.

ونعلم يقينا أن أغلب الحضارات القديمة لم تخلُ معتقداتها من قصص أسطورية حول الخلق والطوفان والنبوءة... الخ، والمشابهة بلغت حدّ التطابق للقصة في العهد القديم، وكذلك الشأن في قصص القرآن الكريم. "وكون تاريخ اليهود معظمه أسطوريا جعل مدونوه يسرحون بخيالهم في التوسع فيه، طالما ليس هناك أساس له، وهي طريقة دينية يهودية متعارف عليها اسمها (المدراش)."[74] وقد ساعد على ذلك تأخر كتابة النص المقدس بعد ظهوره أول مرة بعدة مئات من السنين، وهذا ما يفتح الباب بمصراعيه أمام كُتّابه المتأخرين للزيادة والنحل والتأليف فيه، متخذين من مخيلاتهم الخصبة وأحلامهم الجامحة، ومن الأساطير البابلية والسومرية، موردا ينهلون منه في كتابة نصوص التوراة. من أجل ذلك "كانت أساطير الجزيرة هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد [...] ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم. ولكن أرجح من هذا أنهم أخذوها قبل ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى."[75]

ونخلص في الأخير إلى أن "العهد القديم عبارة عن أسفار متفرقة لكُتّاب مختلفين عاشوا في أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام، ثم ضُمنت هذه الأسفار في كتاب واحد."[76] ولقد رأينا أن تدخل الإنسان في بناء النص المقدس واضح وجلي، خاصة وأنه بقي ردحا من الزمن في شكله الشفهي، وهو الشكل الأكثر عرضة للتعديل والتغيير، للإضافة والحذف. ولقد رأينا فيما بعد أثناء تدوين النص المقدس وتقييده أنه صار موضوع خلاف بين فرق عدة، "وكانت الأسفار التي تُليت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين "الموسوية" التي قامت عليها الحياة

اليهودية كلها فيما بعد."[77] فالنص المقدس في الأخير من وضع كاهن أو اثنين، قاما بصياغة نصها الأخير بعد قرون بعيدة من ظهورها أول مرة، ولسنا على يقين من أن النصين متطابقان أو على الأقل متقاربان، مهما ادعينا عكس ذلك.

مع أن الاعتقاد بضياع التوراة وإعادة كتابتها باجتهاد كاهن أو اثنين أو سبعين كاهنا، بهذه البساطة، فيه نوع من السذاجة التي لا يمكن تصديقها بسهولة، فمن الصعب التصديق أن تراثا دينيا بهذه الضخامة والعراقة والقداسة، قد ضاع واندثر من الذاكرة الجماعية اليهودية بهذه البساطة المفعمة بالسذاجة ذات النزعة الأسطورية. فليس من المعقول بتاتا أن يضيع تراث ديني بهذه الضخامة هكذا فجأة مهما كانت الظروف التاريخية والاجتماعية بغض النظر عن كونه تراثا شفاهيا أو نصا مقيدا بالكتابة والتدوين، خاصة وأنه تراث ديني (عقائدي وتشريعي) الجزء الأعظم منه قابل للممارسة التطبيقية في شكل طقوس تؤدى في المناسبات الاجتماعية اليهودية. إنه تراث ديني راسخ في جوهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية عند اليهود في أغلب ممارساتهم اليومية، فليس من المعقول أن يندثر صدفة دون سابق إنذار كما تروج له الثقافة اليهودية بحد ذاتها.

إن التسليم بفرضية التعديل في النص المقدس، راجع بالدرجة الأولى إلى ظروف بني إسرائيل التي مروا بها قبل وبعد الخروج، فقد ذاق اليهود الذين دخلوا مصر مع من دخل في زمن النبي يوسف (ع) أشد أنواع العذاب والاضطهاد، وهي فترة يقدرها مؤرخو الكتاب المقدس بأنها زهاء أربعة قرون، وهي فترة ليست بالهينة، سترسم فيما بعد ملامح الثقافة اليهودية بوضوح، وهذا ما تجلى في حادثة العجل. لقد جاءت في القرآن الكريم كما في العهد القديم قصة العجل الذي عبده بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، بعد أن استخلف موسى (ع) أخاه هارون (ع) فيهم، "ولم يتخلوا قط عن عبادة العجل والكبش والحمل؛ ذلك أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر، وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلههم. وإنا لنقرأ في سفر الخروج [...] كيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبي، وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم على عبادة هذا الوثن."[78] فليس من السهل التخلص من آثار أربعة قرون من الاستعباد الثقافي في مصر، وبالتالي ليس من الصعب علينا أن نتصور حجم التأثير الديني للبابليين في معتقدات اليهود ونصوصهم إبان فترة السبي.

ولا ننسَ كذلك المشاكل النصانية المتعلقة بالكتاب المقدس والمرتبطة بالترجمة وإعادة الترجمة للنص المقدس بين عدة لغات شرقية ولاتينية قديمة، خلال حقبة زمنية ليست بالقصيرة. وهذا ما يزيد في فرضية تعرّض النص المقدس الأصلي للتعديل والتغيير خلال فترات زمنية مختلفة، مع الترجيح أكثر أن هذه التعديلات والتغييرات التي طالت نصوص التوراة مقصودة ومنظمة كما قد يذهب البعض في آرائهم، كالتنظيم الذي نراه في الأسفار الخمسة الأولى. بالإضافة لذلك نرى في آخر عمليات التعديل أكثر من نسخة للنص الأصلي بعد فترة زمنية طويلة، كنتيجة حتمية لسلسلة الترجمات وترجمات الترجمات بين عدة لغات خلال حقبات زمنية متفاوتة، مع "أن المدركات التوراتية المتباينة، كانت بين مختلف الكنائس المسيحية سبب رفضها جميعها نفس الأسفار. كما أنها حتى الآن ليس لها في اللغة الواحدة الأفكار الواحدة عن الترجمة. فمهمة التوحيد في طريق الانتهاء. والترجمة المسكونية للعهد القديم التي حققها عدد من الخبراء الكاثوليك والبروتستانت ستصل إلى نص مركب."[79] وعليه تصبح مهمة توحيد النصوص المقدسة المتباينة بين الفرق والمذاهب غاية ما يصبو إليه

معتنقو الكتاب المقدس، وهي مهمة لا تخلو من مخاطر نصانية متعلقة بصعوبة ترميم النص الأصلي والوصول إلى النسخة الأولى التي يُرجح ظهورها أول مرة.

لقد رجّحنا سابقا أن اللغة العبرية هي لغة نصوص التوراة، بالإضافة إلى بعض النصوص القليلة التي كتبت باللغة الأرامية. لكن بعد فترة وجيزة نجدها قد تفرقت بين الكثير من اللغات الشرق أوسطية في تلك المرحلة من تاريخ الكتاب المقدس، و"كل هذه النصوص أتاحت للاختصاصيين الوصول إلى صياغة (متوسطة) للتوفيق بين النصوص المختلفة. ولقد أنجزت مجموعات متوازية متقاربة في لغات مختلفة تورد جنبا إلى جنب النصوص العبرية واليونانية واللاتينية والسريانية والأرامية حتى والعربية."[80] وفي القرن الأول قبل الميلاد عند محاولتهم توحيد نصوصها في نص واحد عبراني، هنا تبرز مشاكل نصانية غاية في التعقيد، تتجلى أكثر ما تتجلى في هوية الرب واسمه، وأسماء الأنبياء والرسل وقصص الخلق والخليقة، وبعض التفاصيل الدقيقة. مع التأكيد أنه ليس لدينا دليل قاطع أن النصوص المختلفة للتوراة بلغات الشرق القديمة قد سلمت بحد ذاتها من التداخلات النصية مع نصوص أجنبية.

لقد كانت نصوص الكتاب المقدس على دراية كاملة بمخاطر الاختلاط الحضاري مع الشعوب المجاورة، فقد حذر الرب شعبه من مخاطر الاختلاط مع هذه الحضارات في سفر التثنية قائلا: "[1]«مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، [2]وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، [3]وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ. [4]لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا."[81] لقد أعلنت بذلك العقيدة اليهودية منذ البداية رفضها للديانات والعقائد المجاورة لها، وحاولت حماية نفسها من الغزو الديني والثقافي، من خلال تحريم جميع أنواع العلاقات الاجتماعية معها، لكن هذه الإجراءات الاحترازية لم تمنع نصوصا دخيلة من الدخول إلى صلب النص التوراتي.

هذه العلاقات التاريخية بين اليهود العبرانيين وغيرهم من الأمم قد ساهمت تشكيل صورة سلبية عن الآخر غير اليهودي، كم ساهمت في تحديد طبيعة العلاقة التي سوف تحكمهم بغيرهم من الأمم في عصور لاحقة. "وبسبب من التغيرات التاريخية والاجتماعية التي طرأت على اليهود ولاسيما بعد السبي وما تبعه من تشريد أخذ علماء اليهود وأحبارهم بكتابة التلمود الذي يوضح رأي الكهنوت اليهودي في العلاقة بين اليهودي وغيره من أبناء الأمم والشعوب."[82] وربما قد وجهت كتبة الوحي من الكهنة والأحبار نحو صياغة النصوص التوراتية على الشكل الذي هي عليه اليوم، وبلورت فكرة الوعد الإلهي لشعبه المختار، ورسخت أكثر فأكثر سمو وسامية العرق اليهودي، خاصة في تعاليمهم التلمودية، "وقد كتب هذا التلمود في زمن السبي البابلي للعبرانيين، ويبدو أن الأهداف السياسية والعرقية لعبت الدور الأول في تدوينه. وكان اليهود آنذاك أشد حاجة لجمع النصوص اللاهوتية الداعية للحفاظ على تعاليمهم وذلك خوفا من الاندماج والاندثار ، لاسيما أنهم تعرضوا لأكثر من سبي وأكثر من تشريد."[83] لقد تنامى لدى اليهود في ظل هذه الظروف التاريخية المليئة بالقسوة والعنف والتمييز العرقي والديني، حقد مقدس تجاه الأقوام الآخرين، تجلى بوضوح في نصوصهم المقدسة التي أضافوها، لإضفاء الشرعية الدينية المقدسة على المواقف العرقية المتطرفة التي تبناها اليهود فيما بعد.

وترسّخت هذه الفكرة أكثر فأكثر في النصوص المقدسة وفي صلب العقيدة اليهودية، مخافة ضياع الدين اليهودي بفعل اختلاطهم بالأقوام الأخرى، ولكون الرب قد اصطفاهم عن العالمين، خاصة بعد سلسلة العلاقات التاريخية المضطربة جراء السبي البابلي. وقد جاء في مطلع الأصحاح السابع من سفر التثنية: "[5]وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ. [6]لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، [7]لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. [8]بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ."[84]

المصادر والمراجع:

---

[1] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1990، ص31.

[2] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مكتب النسر للطباعة، الإسكندرية، دط، 1997، ص10.

[3] عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، دار الثقافة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية 2001، ص18.

[4] مُحَمَّد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1990، ص111.

[5] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، 1977، ص41.

[6] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص11.

[7] العهد الجديد: متى، 5: 17 . 20.

[8] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، دط، 1968، ص8.

[9] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص31.

[10] عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، مرجع سابق، ص19.

[11] العهد القديم: يشوع، 1: 7، 8.

[12] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص38.

[13] مُحَمَّد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، مرجع سابق، ص111.

[14] العهد الجديد: يوحنا، 10: 34.

[15] عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، مرجع سابق، ص19.

[16] المرجع نفسه، ص17.

[17] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص7.

[18] عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، مرجع سابق، ص17.

[19] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، دط، 1988، ص139.

[20] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص50.

[21] عمر صابر عبد الجليل، أحمد محمود هويدي: المدخل إلى عبرية العهد القديم (نحو ونصوص)، مرجع سابق، ص18.

[22] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، مرجع سابق، ص20.

[23] أقدم المخطوطات العبرية للعهد القديم التي وجدت حتى الآن هي مخطوطات وادي القمران (البحر الميت) التي اكتشفت في عام 1947 وترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد واكتشفها رعاة من البدو في أحد الكهوف. لمزيد من الإطلاع ينظر: ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص22.

[24] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص34.

[25] المرجع نفسه، ص31، 32.

[26] العهد القديم: الخروج، 17: 14.

[27] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق،ص51.

[28] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق،ص38.

[29] العهد القديم: الخروج، 32: 15، 16.

[30] أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1978، ص21.

[31] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، دار النفائس، مرجع سابق، ص30.

[32] العهد القديم: الخروج، 19: 10 . 13.

[33] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص13.

[34] أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، مرجع سابق، ص6.

[35] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص33.

[36] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق،ص51، 52.

[37] المرجع نفسه، ص51.

[38] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، مرجع سابق، ص21.

[39] المرجع نفسه، ص44.

[40] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص38.

[41] العهد القديم: الخروج، 2: 10.

[42] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الثاني، ترجمة: مُحَمَّد بدران، دار الجيل، بيروت، دط، 1988، ص366.

[43] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص8.

[44] حسن الباش: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، الجزء الأول، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص20، 21.

[45] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص53.

[46] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص368.

[47] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة، دط، 1988، ص163.

[48] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص34.

[49] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص52.

[50] المرجع نفسه، ص53.

[51] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص140.

[52] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، مرجع سابق، ص329.

[53] ملاك محارب: دليل العهد القديم "دراسات كتابية"، مرجع سابق، ص25.

[54] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص135.

[55] المرجع نفسه، ص135.

[56] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص23.

[57] المرجع نفسه، ص24، 25.

[58] المرجع نفسه، ص26.

[59] مُحَمَّد علي البار: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، مرجع سابق،ص111.

[60] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص7.

[61] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص136.

[62] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص50.

[63] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص208، 209.

[64] المرجع نفسه، ص135.

[65] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص23.

[66] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، مرجع سابق، ص78، 79.

[67] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، المجلد الأول، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص356.

[68] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص50.

[69] أحمد حجازي السقا: التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية)، مرجع سابق، ص11.

[70] المرجع نفسه، ص12.

[71] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص25.

[72] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، مرجع سابق، ص30.

[73] كامل سعفان: اليهود تاريخ وعقيدة، مرجع سابق، ص7.

[74] سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها، مرجع سابق، ص32.

[75] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، مرجع سابق، ص368.

[76] مراد كامل: الكتب التاريخية في العهد القديم، مرجع سابق، ص8.

[77] ول ويل ديورانت: قصة الحضارة (الشرق الأدنى)، مرجع سابق، ص370.

[78] المرجع نفسه، ص338.

[79] موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، مرجع سابق، ص24.

[80] المرجع نفسه، ص24.

[81] العهد القديم: التثنية، 7: 1 . 4.

[82] حسن الباش: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، مرجع سابق، ص23.

[83] المرجع نفسه، ص23.

[84] العهد القديم: التثنية، 7: 5 . 8.